

مدى مساهمة الفنون المسرحية والموسيقية في تشخيص المشكلات النفسية وعلاجها لدى نزلاء قرى الأطفال (SOS) في الأردن¹

أ.د. يحيى سليم سليمان عيسى²

أ.د. نضال محمود نصيرات³

Al-Academy Journal-Issue 110

ISSN(Online) 2523-2029/ ISSN(Print) 1819-5229

Date of receipt: 21/5/2023

Date of acceptance: 1/6/2023

Date of publication: 15/12/2023



This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص:

يهدف البحث إلى التعرف على مدى مساهمة الفنون المسرحية والموسيقية في تشخيص المشكلات النفسية وعلاجها لدى نزلاء قرى الأطفال في الأردن، والمنهجيات التي تعتمدها الفنون المسرحية والموسيقية لتحقيق ذلك، ومن ثم التأكيد بأن للفنون المسرحية والموسيقية أثر في تحسين نفسيّة نزلاء قرى الأطفال في الأردن، وذلك من خلال مراجعة النظريات والآراء التي تتناول الموضوع من وجهة نظر علمية مثبتة من بالتجارب والخبرات، وجاءت الحدود الزمنية للبحث في الفترة الواقعة ما بين (2019- 2020)، أما الحدود المكانية فجاءت ضمن قرى أطفال (SOS) في الأردن. وتتمثل أهمية البحث في توفير إطار مرجعي للباحثين والمختصين في علاج المشكلات النفسية للأطفال باستخدام الفنون، ويمكن أن يفيد البحث المشتغلين في الفن المسرحي والموسيقي من مؤلفين ومخرجين وممثلين ونقاد وملحنين ومطربين... الخ، وكذلك تقديم الفائدة للمؤسسات الأكاديمية التي تعنى بالفنون المسرحية والموسيقية وبالعلوم النفسية والتربوية.

الكلمات المفتاحية: العلاج النفسي، العلاج بالفن، السايكودراما.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

إن العلاج بالفنون المسرحية والموسيقية هو أحد أهم الوسائل التي تساهم في تشخيص المشكلات النفسية وعلاجها لدى الأطفال، ولهذا الجانب أهمية في بناء وعي تربيوي وخيالي وإبداعي لدى الطفل، وقد عبرت الفنون الموجهة للأطفال عن دلالات نفسية جمعت بين ما هو معرفي وإدراكي، لتشكل بذلك وسيلة أساسية من ضروريات الحياة من شأنها أن تساعد الطفل على أن يسمو بشخصيته وأن يعيش حياته بطريقة أكثر فعالية.

وفي ظل وجود أطفال نزلاء في قرى الأطفال (SOS) في الأردن والذين يعدون من مكونات المنظومة المجتمعية، فقد لاحظ الباحثان أنه يستوجب الوقوف على بعض المشكلات التي يعاني منها هؤلاء الأطفال، كونهم فئة محرومين أسريا ويحتاجون إلى رعاية خاصة من قبل المؤسسات المتخصصة في هذا الشأن،

¹ أنجز هذا البحث بدعم من عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية.

² - قسم الفنون المسرحية، كلية الفنون والتصميم، الجامعة الأردنية.

³ - قسم الفنون الموسيقية، كلية الفنون والتصميم، الجامعة الأردنية.

ومحاولة تشخيص بعض الحالات من خلال أخصائي نفسي، ومن ثم محاولة معرفة مساهمة الفنون المسرحية والموسيقية في تشخيص المشكلات النفسية وعلاجها ومعرفة أثر ذلك على الطفل، ولهذا جاءت هذه الدراسة للتعرف على هذه الحالات ومن ثم تقديم مقترحات وحلول مناسبة مبنية على أسس علمية، من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة الآتية:

1. ما مدى مساهمة الفنون المسرحية والموسيقية في تشخيص المشكلات النفسية وعلاجها لدى نزلاء قرى الأطفال في الأردن؟.

2. ما الآليات التي تعتمدها الفنون المسرحية والموسيقية في تشخيص المشكلات النفسية وعلاجها لدى نزلاء قرى الأطفال في الأردن؟.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى التعرف على:

1. مدى مساهمة الفنون المسرحية والموسيقية في تشخيص المشكلات النفسية وعلاجها لدى نزلاء قرى الأطفال في الأردن.

2. المنهجيات التي تعتمدها الفنون المسرحية والموسيقية في تشخيص المشكلات النفسية وعلاجها لدى نزلاء قرى الأطفال في الأردن.

3- أن للفنون المسرحية والموسيقية أثر في تحسين نفسيّة نزلاء قرى الأطفال في الأردن، وذلك من خلال مراجعة النظريات والآراء التي تتناول الموضوع من وجهة نظر علمية مثبتة من التجارب والخبرات.

.أهمية الدراسة: تتمثل أهمية الدراسة الحالية بالكشف عن مدى مساهمة الفنون المسرحية والموسيقية في تشخيص المشكلات النفسية وعلاجها لدى نزلاء قرى الأطفال في الأردن. كما ويسهم البحث في توفير إطار مرجعي للباحثين والمختصين في علاج المشكلات النفسية للأطفال باستخدام الفنون، ويمكن أن تفيد الدراسة المشتغلين في الفنون المسرحية والموسيقية من مؤلفين ومخرجين وممثلين ونقاد وملحنين ومطربين... الخ ، وكذلك تقديم الفائدة للمؤسسات الأكاديمية التي تعنى بالفنون المسرحية والموسيقية وبالعلوم النفسية والتربوية.

حدود الدراسة:

1- الحدود الزمنية: الفترة الواقعة ما بين (2019-2020)

2- الحدود المكانية: قرى أطفال (SOS) في الأردن / عمان.

تحديد المصطلحات:

.العلاج بالفنون:

حددت جمعية العلاج بالفن الأميركية العلاج بالفن بأنه: " مجال للخدمة الإنسانية يقدم فرصا استكشافية للمشكلات الشخصية من خلال التعبير اللفظي وينمي الخبرات الجسمية والانفعالية والتعليمية من خلال ممارسة النشاطات الفنية العلاجية" (Fuhaid,2007,Al-p7).

ويرى (جبرائيل) أن العلاج بالفن هو " نوع من العلاجات النفسية يجمع بين التواصل اللفظي وغير اللفظي" (Gabriel et al., 2000: 114).

ويرى (موك) أن العلاج بالفن هو "عملية خلق إبداع مرئي، والفحص والترجمة اللفظية لهذا الإبداع يسهل الوعي المعرفي، والانفعالي، والنمو، والتطور في الجلسة العلاجية" (Mok, 2007: 4).

التعريف الاجرائي: يتفق الباحثان مع ما ورد في التعريفات السابقة كتعريف اجرائي لبحثهما.

- التشخيص:

مصطلح بلاغي مستحدث أشق من فعل (شخص) الذي يدل على الوضوح والظهور، ويعني اصطلاحاً "إبراز الجماد أو المجرد من الحياة من خلال الصورة بشكل كائن متميز بالشعور والحركة والحياة" Abdel (Nour, 1984).

التعريف الاجرائي: يتفق الباحثان مع تعريف (عبد النور) كتعريف اجرائي لبحثهما.

- جمعية قرى الأطفال (sos) في الأردن:

هي جمعية وطنية غير ربحية تعمل تحت مظلة وزارة التنمية الاجتماعية، وقد تأسست عام 1983م، ولا تنتمي لأي تيارات سياسية أو دينية أو عرقية. تسعى الجمعية إلى تحقيق الحياة الكريمة لأطفال أردنيين من الأيتام وفاقد السند الأسري وذلك برعايتها لهم وفقاً للعادات والتقاليد المتعارف عليها في الوطن الحبيب منذ لحظة انتمائهم للقرى وحتى انطلاقهم إلى بيوت الشباب والشابات، ليخوضوا بعدها غمار الحياة باستقلالية واعتماد كلي على الذات كأفراد منتجين وفعالين في خدمة أنفسهم ومجتمعهم ووطنهم The (Jordanian Children's Villages Association (sos), 2018).

الإطار النظري: منهجيات العلاج بالفنون المسرحية والموسيقية:

من الخصائص الفريدة والمميزة للعلاج بالفنون أنه يمنح الفرصة لمن يتلقون العلاج إمكانية التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم من خلال الفنون المسرحية والموسيقية والبصرية المختلفة بشكل حيوي وفعال. وهذه العمليات الإبداعية تعد مصدراً للمعلومات لكل من المعالج والعميل، حيث تعطي استجابة فسيولوجية من الاسترخاء مما ينعكس ذلك على مزاج الفرد، ويعمل على خفض القلق وبذلك يصبح الفرد أكثر استعداداً للتعبير عن ذاته بشكل مكشوف، مما يساعده على إخراج انفعالاته الداخلية والتنفيس عن ذاته (Abdel-Wahhab, 2017).

وهكذا يتضح أن استراتيجيات العلاج بالفنون، كان لها دور كبير في تلبية حاجات الأفراد والمجتمعات، فهي تقوم على "المزاوجة بين علم النفس والفن، والمشارك في العلاج بالفن يدخل في حوار مع المعالج وذلك باستخدام التعبير الفني، والاستبصارات التي يحققها الفرد من خلال العلاج بالفن لا تقدر بقيمة، وهو يكون مفضلاً وذا فائدة مع الأفراد غير القادرين على التواصل اللفظي، والذين لديهم صعوبات في التعبير عن أنفسهم بالكلمات، حيث يتيح طريقاً ليخرجوا أفكارهم، وانفعالاتهم، ومخاوفهم، وتخيلاتهم، في العمل الفني" (Rivera, 2008). وقد تطورت استراتيجيات العلاج بالفنون مؤخراً لتصبح ذات فاعلية في مساعدة من يواجه إلهم العلاج على الاندماج والتكيف مع مجتمعاتهم، وبالتالي مساعدتهم في التعبير عن ذاتهم ومشاعرهم وانفعالاتهم في بيئة اجتماعية طبيعية.

إن المعلومات التي تعبر عن حقيقة المشاركين في العمل الفني تصبح الأساس للوسائل العلاجية، لكون العميل قد يكون هنا قد عبر " عن نفسه، وعن تجاربه وخبراته في أسلوب آمن وغير لفظي، وهذا يساعد على تأسيس الثقة، ويشعره بالاطمئنان الكبير في عملية العلاج، ومن الخصائص المميزة والفريدة للعلاج بالفن، أنه يمنح الفرصة للعميل ليعبر عن أفكاره ومشاعره خلال الصور المرئية، والتي تكون رسماً أو تصويراً أو نحتاً، وهذه العمليات الإبداعية تعد مصدراً للمعلومات لكل من العميل والمعالج، والعمل بالأدوات الفنية مثل: الطهي، والأوراق الملونة، والأقلام يعطى استجابة فسيولوجية من الاسترخاء، مما يؤثر على المزاج لدى الفرد، وهذا يخفف القلق، وبذلك يصبح الفرد أكثر استعداداً للتعبير عن الذات بشكل مكشوف، كذلك التعبير الفني يساعد على إخراج الانفعالات الداخلية (التنفيس)"(Diehls,2008:3,4).

ويعد الاطفال المودعون في مؤسسات الرعاية البديلة، من أكثر الاطفال عرضة واحتمالاً لإظهار مؤشرات الاضطرابات النفسية، ومشكلات الصحة النفسية، فأسوأ ما تظلم أفضل من احسن المؤسسات، حيث حذر العديد من علماء النفس والاطباء النفسيين، من المخاطر الناجمة عن فصل الاطفال عن أسرهم الاصلية، ومنهم العاملة التحليلية آنا فرويد (Anna Freud,1944)، التي تدرجت على التحليل النفسي، والتزمت بدراسة تطور الاطفال، وقد استنتجت من خلال دراستها لمشكلة انفصال الاطفال عن أمهاتهم، أن الاطفال المودعين في مؤسسات، وبغض النظر عن كفاءة الرعاية الجسدية والاجتماعية الموفرة لهم، معرضون بصورة حتمية للفشل والاضطراب النفسي المرتبط بالحرمان الامومي، كما صادقت الجهود البحثية التي أجراها لاحقاً، بولبي (Bowlby, 1951) على أفكار آنا فرويد بشأن الاضطرابات النفسية، التي يعاني منها الاطفال المودعون في مؤسسات، وفسر بولبي هذا الوضع بأنه يعود لتعطل الرابطة الخاصة بين الطفل والأم، التي يتطلبها التطور النفسي السوي (Ziyadat, 2015,p14).

يعد العلاج بالفنون من المجالات الأكثر أهمية في طرق العلاج المعاصرة، وقد جاء التركيز على الفنون في إطار عملية البحث عن علاجات لكثير من الأمراض البايولوجية والنفسية، ولكون الفن يعبر عن مكونات الوجدان البشري، فإن اشراك أي فرد في العملية الابداعية الفنية، يمكن أن يقدم ومن خلال أسلوب التداعي تسجيلاً لمشاعره، والعلاج بالفن يكون ناجحاً ومفيداً مع العديد من الأفراد؛ " لأنه يساعد على فهم أنفسهم، والأفكار تتواصل حينما تعجز الكلمات عن التعبير، ويتم الاستبصار بالذات خلال التعبير الفني، حيث يعبر العميل عن ذاته على نحو فني، ولا يحتاج العملاء إلى المهارات أو القدرات الفنية، فالعمل الفني يرى فيه الدلالة العلاجية، ولا يرى من الناحية الفنية" (Diehls,2008:3,5).

وأثناء الحرب العالمية الثانية، ظهرت الرغبة في توظيف الفنون في معالجة المشكلات النفسية والاجتماعية للأفراد، فكان استخدام الموسيقى لمساعدة المحاربين من نزلاء المستشفيات على تجاوز أزماتهم التي نتجت عن الحرب، وبانتهاء الحرب العالمية الثانية، بدأ استخدام الموسيقى بطريقة أكثر تخصصاً، فظهر شكل جديد للعلاج هو (العلاج النفسي الجسماني) وظهر من خلاله تعبيرات العلاج بالفن، بالابتكار، بالموسيقى، وبالسوفولوجيا، وظهر أخيراً تعبير العلاج البديل أو (الطب البديل).

وكان طبيعياً أن يبرز دور الفنون في ذلك عبر الإفادة من علم النفس ومقوماته في العملية الإبداعية، " إذ يمكن لعلم النفس أن يفسر الجذور الغريزية للدافع نحو التمثيل، وكذلك الدافع نحو تأليف الموسيقى، إنه يمكنه أن يفحص تلك العلاقة الثنائية بين المؤدي والمتلقي، وهي العلاقة التي تشتمل على بعض العمليات الاجتماعية: كالتمسك أو التماهي وسحر الشخصية أو قوة حضورها، والولع أو الإعجاب الشديد أو الافتتان والتيسير الجماعي. يمكن لعلم النفس أيضاً أن يصف الطريقة التي يتم من خلالها انتقال الانفعالات إلى المتلقين من خلال عمليات غير لفظية، كالأوضاع الخاصة بالجسم، والتعبير الذي يرتسم على الوجه" (Wilson,2000, p11)، ولا يتوقف علم النفس عند ذلك، وإنما يتدخل إيجابياً باختيار النظريات الخاصة بالأداء وبالأشكال المسرحية والموسيقية، وبطرق التأثير بالمتلقي والسيطرة على أحاسيسه ومشاعره. إن العلاج بالفن يهدف إلى مساعدة العملاء على أن يفسروا ويفهموا المعنى، والدلالة في أعمالهم الفنية، وعلى المعالج أن يربط المكان الملائم والمساعد؛ لكي يعبر العملاء ويكتشفوا أعمالهم، وذلك بأن يكون مشجعاً ومدعماً، معطياً ومانحاً للرعاية، أميناً، صادقاً. وأن عملية الاستبصار وفهم الانفعالات والدفاعات تجعل العميل يتحرك نحو الأمام في العلاج، والمعالج بالفن يقوم بالبحث عن الرسائل الخفية في أعمال العملاء، ويمكن أن يعطى تفسيرات أثناء جلسة العلاج، مستنداً على فهمه لرموز السياق والتعليقات اللفظية (5). (Diehls,2008, p3). وقد يعمل العلاج بالفنون على تحسين الوظيفة الحركية الإدراكية والحسية، واحترام الذات، والوعي الذاتي، والمرونة العاطفية لدى العملاء، وقد يصبح منهجاً نظرياً وعملياً لحل المشكلات على اختلافها، والعلاج بالفنون أو (العلاج التعبيري)، قد يتضمن أشكالاً متعددة للعلاج منها العلاج بالرسم، العلاج بالموسيقى، العلاج الدرامي، العلاج باللعب، العلاج بالرقص.

يتخذ العلاج الدرامي وسيلة في علاج المرضى النفسانيين عن طريق المسرح، ويتخذ من مفهوم السايكودراما طريقة من طرق العلاج النفسي الجمعي. ويرى (السندي) أن السايكودراما " هي وسيلة تسعى إلى استنباط أو استخراج المشاعر الكامنة في النفس وعلل المشكلات الشخصية وتعاييرها وذلك عن طريق أدوار مسرحية تتسم بالعمق، وهي بذلك عمل جمعي يتركز حول تمثيل المشاعر العاطفية" (Sindi,1987,p75).

وعرفها (سوين) بأنها: " استراتيجية علاجية جماعية تضمن أن يكون هناك عدة معالجين لمريض واحد، وذلك من خلال تشجيع المريض أو العميل على تمثيل مشاهد مختلفة من حياته بشكل يؤدي إلى وجود استبصارات حقيقية وتغيرات فعلية تحدث عندما يتاح له أن يعبر بالسلوك عن مشاعره" (834 Swain, 1979, p).

وتأخذ عناصر العرض المسرحي أهمية كبيرة في بعض الحالات التي تكون فيها جزءاً من العلاج النفسي، إذ تختلف وظائفها في عروض (السايكودراما) عن تلك المهام في عروض المسرح التقليدية، وخاصة فيما يخص الجوانب التقنية في العرض كالأزياء والديكور والإضاءة وغيرها.. وقد اقتصرت المسؤوليات في (السايكودراما) على :-

"1- المسرح Stage.

2- العميل أو الممثل Actor.

3- المخرج أو المعالج Director.

4- مساعد المخرج Auxiliaryego.

5- المشاهدون (المرضى) Audience " (Al-Athari, 2007 , p83).

إن السيكدوراما تسعى لتحقيق التطهير النفسي عن طريق التنفيس أو الإفراغ النفسي لدى العميل، واكتساب أنماط سلوكية جديدة، وحينما يتم اللجوء إليها لعلاج المرضى النفسانيين، فإن العملية تقوم هنا على استخراج المشاعر الكامنة في النفس الإنسانية وتعايرها وذلك عن طريق أدوار مسرحية تنسم أحيانا بالعفوية، وهذا النوع من الدراما هو تقنية "علاجية، وقائية، تعليمية، تدريبية، يصبح استخدامها في الدراما المسرحية عبر مختلف مستوياتها أحد أبرز الأدوار التنموية الجديدة للمسرح في علاقته الإيجابية بالمجتمع. ولأن الدراما حاجة نفسية على مستوى التمثيل والإخراج، ومختلف عناصر الإبداع وقبلها التأليف، وعلى مستوى التلقي، يصبح استخدام السيكدوراما ممتزجة بمنهج الاشتباك بين الممثلين والمشاهدين خطوة تنفيذية للعلاقة الإيجابية بين المسرح والمجتمع" (Abu Bakr, 2005, p32)، حيث ينشط ذلك الأفراد ذهنياً ووجدانياً وحركياً، حتى تم صهرهم داخل الجماعة المسرحية من خلال تقنيات لعب الأدوار، مما يمهّد لإعادة تأهيلهم نفسياً واجتماعياً بعد تخليصهم من روايب الأزمات العالقة بهم.

وإذا كانت السيكدوراما تقنية مسرحية علاجية تستهدف الفرد وأمراضه النفسانية، فإن السوسيدوراما تهدف إلى علاج الأفراد المضطربين نفسانياً داخل جماعات تمثيلية لتحقيق التوازن النفسي لديهم، وهي تقوم على تمثيل مجموعة من الأدوار المسرحية التي لها علاقة بالمشكلات الاجتماعية وبيناميكية الجماعة، وفي الحالتين لكي يخرج العميل إلى مجتمعه بشكل سوي ويمارس حياته بشكل طبيعي، ينبغي أن يقوم العميل وضمن اللعبة المسرحية بمجموعة من الأدوار محاولاً إبراز طاقاته وأحاسيسه الشعورية للانتقال من مرحلة الانطواء إلى مرحلة الانبساط التي تساعد على القيام بدوره الاجتماعي.

ويرى (ملحم) أن السيكدوراما تتميز بما يلي:

" حرية السلوك لدى الممثلين (العملاء) وتلقائيتهم.

. يتيح التداعي الحر والتنفيس الانفعالي للعملاء التعبير في موقف تمثيلي فعلي عن اتجاهاتهم وصراعاتهم وإحباطاتهم.

. تؤدي السيكدوراما إلى تحقيق التوافق والتفاعل الاجتماعي السليم والتعلم من الخبرة الاجتماعية.

. يرى فيه عدد من المنظرين ابتكاراً من أهم الابتكارات الثورية في الإرشاد والعلاج النفسي.

. يكشف التمثيل عن جوانب هامة من شخصية العميل ودوافعه وحاجاته وصراعاته ودفاعاته ومشاعره مما يفيد في فهم ودراسة الحالة وفي عملية الإرشاد.

يدور موضوع قصة التمثيل المسرحي عادة حول خبرات العميل الماضية والحاضرة والمستقبلية التي يخافها ويحتمل أن يواجهها مستقبلاً. من أجل التنفيس الانفعالي وحل الصراع وتحقيق التوافق النفسي ومواقف متخيلة غير واقعية وأخرى تهدف إلى تشجيع فهم الذات بدرجة أفضل" (Melhem, 2007, p294).

إن السايكودراما تكتسب أهميتها كأسلوب من أساليب الإرشاد الجماعي حيث تأخذ سياقها العلاجي لعدد من المشاركين. وهي " تفيد في عملية التشخيص والمعالجة الإرشادية والتعليم والترفيه، كما أنه عن طريقها يتم استخدام وتطبيق الفنيات الإرشادية وتعمل على تنمية المهارات الاجتماعية والخيال والتعاون والمحادثة، وتقوي الثقة بالنفس للخروج من حالة الكبت واطلاق المهارات اللغوية من خلال الأدوار التي يقوم بها العميل (المسترشد)، فالتعبير الحر التلقائي عن الصراعات الدفينة يساهم في التخفيف من التوتر واكتساب الاستبصار الذي يؤدي إلى تعديل السلوك في الأدوار الحقيقية، فالعميل هنا يندمج بشكل كامل في المشاهد التمثيلية، ليكون سلوكه معبراً عن أفكاره الحقيقية بتلقائية وحرية كاملة، وبعد الانتهاء من التمثيل يبدأ المسترشد والمتفرجون بمناقشة أحداث التمثيلية والتعليق عليها، ويقوم المرشد النفسي بتفسير دينامياتها ومضامينها مما يساهم في استبصار العميل بهدف تعديل سلوكه الاجتماعي (Alawneh, and Issa, 2017, p190).

وفي هذا السياق، شكلت تجربة الطبيب النفسي (جاكوب. ل. مورينو) إحدى التجارب الهامة في توظيف المسرح في العلاج النفسي، فانطلق في ذلك من كون المسرح يعد شريحة من الحياة، وقد برزت أهمية تجاربه حينما استخدم فن المسرح لتحليل أفعال الإنسان ودوافعه النفسية بهدف العلاج. وقد انطلق مبدأ العلاج باستخدام الدراما من طبيعة وجود الفرد في المجتمع، وحينما تحل المكاشفة بين افراد المجموعة، فإنها تنكشف الحالات النفسية التي يعاني منها المرضى، حيث تنجح المجموعة في الكشف عن الشعور الفردي للمريض، عبر حالة التداي التي تبين حقيقة دواخله، مما يجعل الطبيب المعالج يستكشف الأسباب والعوامل التي تقف خلف الأزمة النفسية للمريض، والتي ظل يكبتها فترة من الزمن مما أثر في سلوكه الاجتماعي وواقعه النفسي.

إن السايكودراما عند مورينو تأخذ سياقات المسرح التفاعلي الذي يشكل مسرحاً ملتزماً داخل المجتمع يقوم على قلب أسس المسرح التقليدي، وإذا كانت تقنيات السايكودراما تطبق من خلال العمل الجماعي، فإن آلية التطبيق تستدعي تهيئة المرضى لذلك، " فقد لاحظ مورينو أن بعض المرضى لا يستجيبون لإجراءات العلاج بالسايكودراما إلا بعد المرور بعملية تهيئة تتيح لهم درجة عالية من الاستعداد للجلسات العلاجية مثل استخدام الألعاب الجماعية والتمارين الرياضية والترفيهية، ووجد أن لهذا أثراً طيباً في تهيئة المراهقين والراشدين المشاركين في جلسات العلاج بالسايكودراما، ومن ناحية أخرى قد تكون عملية التهيئة . في صورتها التقليدية. في شكل مقابلات يلجأ إليها الموجهون مع أفراد المجموعة في محاولة من جانبهم للتعرف على مشكلاتهم، وحتى يصلوا في ذات الوقت إلى مستوى معين من التلقائية يرغب هؤلاء الموجهون . في الوصول إليه قبل البدء الفعلي في جلسات التهيئة" (Suleiman, 1994, p410).

وعملية تحرير المشاركين في السايكودراما من الامتثال الآلي لرؤية أحادية الجانب، يمكن أن يحقق حرية الحركة بين عدد من الرؤى والأصوات المتشابكة والمتصارعة ضمن الأحداث الدرامية، من هنا ارتكز (مورينو) في تجاربه العلاجية على بنية الدراما في النص الأدبي، وجعلها تقترب من منظوره ومرجعياته المتعلقة بالواقع النفسي للعميل، لاسيما " أن الإنسان المضرَب هو في حقيقة الأمر يعاني من اضطرابات انفعالية، وأن هذه الاضطرابات تجبره على الانطواء والعزلة، بل والخوف من التفاعل مع الآخرين، أو هنا يتيح له العلاج السايكودرامي الجمعي الفرصة للشخص أن يتجاوب ويتفاعل حتى وإن كانت لغة الاتصال هي الإيماءات والإشارات، وبعبارة جامعة لغة الجسد، ثم يصبح في النهاية وسيلة. يكون قد تدرَّب عليها واكتسبها. للتعامل الناضج مع الآخرين. وما الجماعة العلاجية في السايكودراما إلا بروفة مصغرة للجماعات الكبيرة التي سيتعامل معها في المجتمع الأوسع" (Greenberg, 1994, p45-48).

إن الدراما قد تغلبت على حالة احجام المريض عن التعبير عن نفسه، لكونها وسيلة تتغلغل داخل الفرد وتدفعه للبوَح والتصريح عن معاناته مع الأشخاص الذين يقفون أمامه ويذكرونه بطبيعة معاناته ومشكلته، وهنا فإن " المسرح يعطي الفرد الفرصة للتعبير عن نفسه بحرية، سواء كان يقوم بتمثيل دور أو يستعيد مشهداً سابقاً في حياته أو مشكلة حالية قائمة، أما المخرج فهمته أن يكون مخرجاً ومعالجاً ومحللاً في آن واحد، أما الهيئة المساعدة فتساعد المخرج بتمثيلها الأدوار اللازمة لشخصيات تقع ضمن التجارب الحياتية للمريض، أما الحاضرون فأهم يمثلون الرأي العام، وتتاح لهم فرصة مشاهدة مشاكلهم وهي تعرض أمامهم" (Kamal, 1988, p498).

لقد جعلت المقتضيات العلاجية الممثلين، لاسيما المرضى منهم، في مواجهة مباشرة مع الجمهور، حيث أطلقوا حواراتهم، وعبروا عن انفعالاتهم لتحقيق عملية الكشف عن المستور في دواخل الشخصية المريضة، وهذه العملية يطغى عليها الارتجال وعدم الالتزام بالنص المكتوب. إذ " لم يكن هناك أية سكريبتات، مكتوبة، كما لم يكن هناك أي مؤدين محترفين أو منظور جمالي ما أو منظر مسرحي معين، فقد كان افراد الجمهور العاديون يكوّنون مع بعضهم البعض سيناريوهات تتناول المشاكل النفسية الشخصية والتي تشكل في ذات الوقت همأ عاماً للجماعة، وكانوا يعدلون من ادائهم بناء على مقترحات أو بدائل يطرحها اولئك الذين حولهم" (Innes, 1996, p 97).

وتهتم السايكودراما بالغاء الحواجز بين المرضى وجمهورهم، ومن التقنيات التي تعتمد عليها تبرز تقنية الارتجال من قبل المشاركين لتحرير الانفعالات من كوامنها الشعورية واللاشعورية، " وقد عكست تلك البنية المسرحية التي طورها مورينو هذين العنصرين المطلوبين: التلقائية والمساواة. تقوم المرحلة التمهيدية الأولى لهذه البنية المسرحية على تحرير عوامل الكشف، ومحاولة إيجاد مشكلة مشتركة، واكتشاف أكثر الأفراد ملائمة للقيام بدور البطل؛ ثم يتبع ذلك سلسلة من المواقف التي تؤدي ارتجالياً واللعب الحر للعقل الباطن؛ وفي أثناء ذلك يؤدي الأبطال المحوريون دور الذات، ويؤدي آخرون أدوار الذوات المساعدة، وأخصماء الأبطال، وأثناء ذلك تؤدي الجماهير دورها في عقد المقارنات، واجراء التعديلات، وكان يعقب هذا كله مناقشة" (Cit-in Paul Portner .1967. P12).

وبما إن السيكودراما هي مسرح جدي تعتمد تكنيك المناقشة، فإن هذا يساعد العميل والمجموعة المشاركة بجلسات العلاج (العرض)، ببناء مواقف تلقائية للمشكلة المراد حلها من خلال مجموعة من الفنيات الاكلينيكية، وتبقى منهجية التعلم الحوارية طاغية في طرق وفنيات السيكودراما، حيث تتطور الممارسة المسرحية من خلال انتاج المشاركين للحوار استنادا إلى خبراتهم الذاتية وقدراتهم الاحترافية، وهناك عدد من الطرق والفنيات التي اعتمدت منهج التعلم الحوارية في السيكودراما، ومن بينها:

1. تأويل الأداء المعوق: " حيث يتم فيه اعتراض الأداء ومقاطعته أثناء قيام المجموعة به"، Suleiman, 1994, (p427).

2. قلب الدور: فقد يمثل الفرد الأول دور الفرد الثاني أو العكس، أو قد يقدم الزوج (بطل الرواية) دور زوجته، أو تقدم الزوجة دور الزوج لتحل محل زوجها وتصبح بطلة للرواية.

3. مناجاة النفس: وهي وسيلة لتعبير الممثل عن أفكاره وأحاسيسه الكامنة في داخله عن طريق البوح " (Abu Talib, 2015, p12). وفي هذه التقنية يؤدي المريض دوره في المشهد الدرامي معبرا عن الخلجات التي تعتمل في نفسه.

4. المرأة: " يمكن تطبيق فنية المرأة من خلال قيام الأنوات المساعدة بتصوير وتجسيد دور البطل، وبالتالي تهيئة الامكانات له لرؤية نفسه عبر تأدية دوره وتجسيده من خلال الآخرين في مواقف وثيقة الصلة به، وعندما يعجز المريض عن التعبير عن نفسه، فإن فنية المرأة تسهل له ذلك بصورة أقرب إلى أسلوب التداوي الحر، مما يمنح الشخص الاستبصار لتعديل سلوكه" (Ghanem, 2003, p171)، وبالتالي فإن العميل هنا يتحرر من الحالة النفسية التي تسيطر عليه، محاولا الوصول إلى مخرج علاجي يساعده في التخلص من أزمته.

5. أسلوب النمذجة أو التعلم الاجتماعي: وقد تم اشتقاق هذه الفنية من نظرية التعلم الاجتماعي ل (باندورا)، وتتلخص في أنه " لكي نعلم الشخص سلوكا معينا فلا بد أن يكون هناك نموذج يقلده الشخص، سواء بمساعدة الأنا المساعدة للمخرج (المعالج)، أو بواسطة عرض فيلم سينمائي، ثم التدريب على السلوك الذي تم مشاهدته توا عن طريق لعب الدور وتلقي تدعيم اجتماعي من المخرج ومن أعضاء الجماعي الآخرين" (Ghanem, p172).

6. الشبيه / الممثل / الدوبلير: وهذه الفنية يتم من خلالها تعزيز الأنا الأخر من خلال تقديم الأنا المساعدة لدور خاص يعبر عن دواخل المريض، وعن أحاسيس وانفعالات البطل الداخلية، وتكمن وظيفة الشبيه في: " استثارة التفاعل عن طريق تسهيل عرض الخبرة النفسية للبطل وزيادة طاقتها القصوى.

. تزويد البطل بالتدعيم اللازم، والذي يساعده كي يتبروز كثيرا من العوائق والمخاطر ليدخل إلى التفاعل بطريقة كاملة" (Ghanem, p173).

إن توظيف المسرح له أهمية كبرى في العمليات العلاجية المختلفة للطفل، وذات فائدة بالنسبة لعلماء النفس، وذلك لأن المسرح يمثل جانبا حيويا مهما من جوانب الحياة، أما العلاج بالفنون الموسيقية، فهو وسيلة أخرى من وسائل العلاج النفسي في الفنون، ومنذ بدء الخليقة، شكل استخدام الموسيقى عند

الإنسان البدائي جزءاً من طقوسه السحرية، حيث استخدمها لطرد الأرواح الشريرة التي تسبب الأمراض حسب معتقداته القديمة.

لقد اعتقد الإنسان الأول أن الموسيقى تشفي الأمراض بإبعاد الأرواح الشريرة وغفران الخطايا، وإدخال القوى الأخلاقية والأدبية في حياة البشر، وعمل التوازن المنشود بين الأمزجة الأربعة وأسلوبها الذي يرجع للعصور القديمة، نسبة إلى طبيعة المشاعر والأحاسيس المكتسبة تجاه عوامل خارجية، من بينها الموسيقى. وهذه الأمزجة تشمل جوانب أربعة: المزاج المائي، يوحى بالهدوء والبرود. المزاج الناري، يوحى بالعنف والثورة. المزاج الترابي، يوحى بالثبات والتوازن. المزاج الهوائي يوحى بالتشتت وعدم الاستقرار التي كان يُظن أنها تحدد الطبع الإنساني، مما يعمل على إرضاء الآلهة (Hussein2009, p49-50).

ثم استمر استخدام العلاج بالموسيقى عند الفراعنة والهنود والايغريق القدماء، كذلك تم استخدام العلاج بالموسيقى في الحضارة العربية والإسلامية، وكان ابن سينا من أوائل من أوائل من استخدم الموسيقى في العلاج وشفاء الأمراض، حيث أورد آراؤه في كتابي (الشفاء) و(المدخل إلى علم صناعة الموسيقى)، كذلك ظهر استخدام الموسيقى في العلاج عند عدد من علماء المسلمين مثل: الرازي، والفارابي، وغيرهما.. وفي بداية عصر النهضة، أوصى (بيكون) بتوظيف الموسيقى لتنشيط الروح، واستخدامها في علاج (الاضطرابات التكوينية)، وكسلاح في مكافحة وباء الطاعون الذي اجتاح أوروبا في ذلك الوقت، وذلك بعزف الموسيقى وقتذاك للذين أصيبوا بالمرض، وكتب (هنري بيتشمان) في القرن السابع عشر، أن الموسيقى تطيل العمر، وتقضي على الحزن والكآبة وانخفاض الروح المعنوية. وآمن الزوج الأمريكيون بأن للأغنية فاعلية في شفاء المريض، وطلبوا منه الغناء عدة ساعات يومياً. وحتى القرن الثامن عشر، كان ضحايا الأمراض العقلية يعدون مخلوقات خطيرة، فكان الهائجون يربطون بالسلاسل أو يجلدون، وقد نزع الطبيب الفرنسي (فيليب بينيل) الأغلال عنهم واستخدم أسلوب تنشيط الجسم والعقل، كبديل إنساني للأسلوب القديم. وأطلق على ذلك اسم (العلاج المهني) الذي يستخدم الإيقاع الحركي الموسيقي لعلاج النفس والروح (Hussein55-54, p).

ومع تطور تجارب العلاج بالموسيقى توصل العلماء إلى أن المتابعة الإكلينيكية وحدها لا تكفي للوصول إلى معرفة ميكانيكية العلاج بالموسيقى، فقد طالب المسئولون سنة 1971م بضرورة توضيح العملية المعقدة ومعرفة فاعليتها باستخدام أبحاث سيكولوجية بمنهج إحصائي. وعلى ذلك فقد مر العلاج بالموسيقى في هذه الفترة بثلاث مراحل:

" المرحلة الأولى: تم التركيز الكبير على الموسيقى دون الالتفات إلى دور المعالج.

المرحلة الثانية: تركيز الأفكار على دور المعالج مع إهمال نسبي لدور الموسيقى، وذلك من أجل تكوين علاقة متبادلة مع المريض .

المرحلة الثالثة: يحدث التوازن المنشود، فاتخذ وضع متوسط بين هذين الوضعين المتطرفين، فأصبح المعالج يستخدم تخصصه للتركيز على علاقته بالمريض، ثم يتحرك في الاتجاه المرغوب وبالسرعة المناسبة لإدماج كل من دور الطبيب ودور الموسيقي" (Hussein56, p).

وباستخدام مهاراتهم التقييمية والعلاج النفسي، يختار المعالجون بالموسيقى المواد والتدخلات المناسبة لاحتياجات عملائهم، وتصميم الجلسات لتحقيق الأهداف والغايات العلاجية، ويقومون باستخدام العملية الإبداعية لمساعدة عملائهم على زيادة البصيرة، والتعامل مع الإجهاد، والعمل من خلال التجارب المؤلمة، وزيادة القدرات المعرفية والذاكرة، والحسية العصبية، وتحسين العلاقات الشخصية وتحقيق قدر أكبر من الإنجاز الذاتي، وتعتمد الأنشطة التي يختارها المعالج بالموسيقى مع العملاء على مجموعة متنوعة من العوامل مثل الحالة العقلية أو العمر (Lusebrink, 2010, p168). وينبغي التأكيد هنا بأن الموسيقى تحدث تأثيرها في السلوك الإنساني، من خلال خصائصها الإيقاعية التي تستثير الاستجابات لدى المستمعين، حيث تتجلى في شكل تغييرات ظاهرية في السلوك لديهم. وهكذا فإن للموسيقى آثارها الفسيولوجية والانفعالية والعقلية والتربوية على الفرد، وهي تتدخل في طبيعة البناء العقلي له، بل وتتدخل في تشكيل الطابع العاطفي والمعرفي للإنسان. وهناك شكلان رئيسيان للعلاج بالموسيقى:

1. العلاج الفردي بالموسيقى: يتضمن التفاعل الموسيقي بين المعالج والمريض وهو يركز على استغلال النشاط والحساسية الموسيقية للمريض والمعالج. ويهتم بتعديل بعض الاستجابات وأنماط السلوك المرضي، في إطار الخبرات الشخصية الفردية للمريض.

2. العلاج الجماعي بالموسيقى: يأخذ شكل العزف الجماعي أو الغناء الجماعي، أو كلاهما معاً، وهذا يشجع المشاركين المتقاربين في مشاكلهم واضطراباتهم ويستثير حماسهم واهتمامهم، وحياتهم العقلية والانفعالية التي تعزز من الأنشطة الجماعية العلاجية والعلاقات الاجتماعية (Muhammad, 2008, p133)، (Hussein, p56).

إن العلاج بالموسيقى هو وسيلة لعلاج عدد من من الحالات والاضطرابات العاطفية والعقلية والنفسية، واضطرابات النوم، والإعاقات الذهنية كبطء التعلّم والتأخر الدراسي، وحالات الذهان كالقصاص والهوس، وحالات العصاب كالقلق والخوف والاكتئاب وغيرها...، وهناك أساليب متعددة للعلاج بالموسيقى أهمها (Hussein - 87):

1. العلاج بسماع الموسيقى: وتندرج تحتها العديد من التقنيات والفنيات، كالعلاج بالخلفية الموسيقية التي تساعد المريض على التحدث بكل سهولة.

2. العلاج بالتأمل الموسيقي: وذلك بأن يكون لدى المريض اهتمامات بالفنون الموسيقية، فبعد سماعه للموسيقى، يتم مناقشته بالانفعالات التي تثيرها لديه، ويستخدم هذا الأسلوب بشكل فردي أو جماعي، على أن تناسب الموسيقى التي تم اختيارها انفعالات المريض ومرضه.

3. العلاج بالعزف الموسيقي: يؤدي المريض مقطوعات موسيقية بنفسه، ولذلك عدد من الأساليب أو الفنيات مثل:

. العلاج بالأداء الموسيقي: كقيام المريض بالعزف الفردي، أو قيام المرضى بالعزف الجماعي وقد يصاحب العزف غناء، وفي حالة عدم إجادة المريض للعزف على آلة يمكن إشراكه في الأداء بأن يبدأ المعالج بالعزف

المرتبج، ويشجع المريض على استخدام الطلبة والمصاحبة الإيقاعية بالتدرج، مع ضرورة التأكيد هنا للمريض بأن الأداء ليس أداء احترافياً ولكنه أداء علاجي، مما يساعد على المشاركة بدون شعور بالنقص. العلاج بالابتكار الموسيقي: ويتم بالتركيز على الخبرات المثيرة للمشاعر، حيث يحدث التنفيس الانفعالي، إما بالتأليف الموسيقي الارتجالي، أو الغناء. والموسيقى هنا تعد وسيلة تحويل انفعالي يتفك عن الصراعات الشخصية والاجتماعية. ويمكن المزج بين الأداء الموسيقي والابتكار الموسيقي للتعبير عن الانفعالات القوية (المرح، الحزن، الغضب، والاشمئزاز...إلخ). وقد يتم ذلك من خلال الدراما النفسية أثناء الأداء نفسه. إن العلاج بالفنون المسرحية والموسيقية يعد من الممارسات المبنية على البراهين، حيث قامت عدد من الدراسات باستخدام تصاميم بحثية نوعية وكمية متنوعة؛ وعند مراجعة تلك الدراسات نلاحظ أن التحليلات الوصفية في تجارب العلاج بالفنون لها تأثير إيجابي على تخفيف الآلام والقلق والاكئاب وتحسين نوعية الحياة، وتحسين النمو الشخصي والتعبير عن الذات، بل والتخلص من حالات الانطواء والعزلة وتعزيز التفاعلات الاجتماعية والتعامل مع الآخرين.

الطريقة والاجراءات:

مبررات الدراسة: يرى الباحثان أن هناك قلة في الدراسات التي اهتمت بمدى مساهمة الفنون المسرحية والموسيقية في تشخيص المشكلات النفسية وعلاجها لدى نزلاء قرى الأطفال في الأردن، ونظراً لأن العلاج بالفنون قد أثبت فاعليته في علاج العديد من الاضطرابات النفسية والأمراض العضوية للأطفال، فقد جاءت هذه الدراسة لتشخيص تلك المشكلات عند فئة من فئات المجتمع تمثلت بنزلاء قرى الأطفال (SOS) في الأردن.

- منهجية الدراسة: استخدم الباحثان منهج دراسة الحالة وهو البحث الذي يقوم على دراسة حالة ما، أو دراسة أسرة ما الخ...، دون تحديد عينة ومجتمع للبحث، وإنما اختيار حالة محددة وفقاً لشروط محددة لتناولها وفحصها بشكل دقيق، وتتم عملية اختيارها للتوافق مع طبيعة الدراسة المختارة لها، وذلك بقصد الوصف أو التقييم أو المقارنة أو التطوير.

- خطوات اجراء الدراسة: للوقوف على مدى مساهمة الفنون المسرحية والموسيقية في تشخيص المشكلات النفسية وعلاجها لدى نزلاء قرى الأطفال (SOS) في الأردنتم اجراء ما يلي:

- للوصول إلى هدف الدراسة زار الباحثان قرية الاطفال في عمان زيارات متعددة، حيث تم وبالتعاون مع الخبرة النفسية (أمل محمد)، اجراء عدد من المقابلات مع الامهات في القرية للوقوف على طبيعة أطفال (SOS) مجتمع الدراسة (Nuseirat, 2020)، وتوصل الباحثان إلى وجود العديد من الاضطرابات النفسية والسلوكية مثل (الانطواء، سرعة الانفعال والاستثارة وحدوث نوبات من الغضب والعناد، الانسحاب الاجتماعي، النشاط الزائد، اضطرابات التواصل، اضطرابات التصرف والمسلك، الاكتئاب، عدم القدرة على التفاعل الاجتماعي لدى البعض منهم، والتخلف العقلي). كما تبين وجود شعور دفين لدى هؤلاء الاطفال بالحرمان الاجتماعي والعاطفي، ومن الممكن ان تتطور المشكلات السلوكية والنفسية لديهم نتيجة شعورهم بالاغتراب.

- وجد الباحثان وفريق العمل أن هناك بعض الحالات النفسية التي يمكن علاجها، باستخدام ادوات ووسائل نفسية، ومنها السايكودراما والموسيقى فيما لو وظفت بشكل علي مدرّوس. وان هناك ضرورة ملحة للتوعية الاجتماعية بتلك الحالات، بوصفها أمراض عادية موجودة في اغلب الناس، لكنهم يحاولون إخفاءها لأنها. حسب اعتقادهم. لا تنسجم مع الصورة المتكاملة الزائفة للفرد.

- قام الباحثان باختيار نص مسرحي تحت عنوان (أرض الوفاء) من تأليف الفنان (خليل مصطفى) واعداد (محمد حجات)، وشكلت معطيات النص مرتكزا أساسيا من مرتكزات العمل العلاجي، حيث حمل النص مضامين فكرية يمكن لها أن تلامس واقع المشاركين وتكوينهم الفكري والنفسي.

- تم اعداد عرض مسرحي لهذه الغاية، وتم فيه اشراك (5) اطفال من (SOS)، حيث كون فريق العمل صورة كاملة عنهم وعن واقعهم النفسي، ومن خلال المضامين الاجتماعية والنفسية التي اشتمل عليها النص، حاول الباحثان الافادة من تطبيق الفنون المسرحية والموسيقية، لايجاد علاج للمشكلات النفسية التي يعاني منها الأطفال المشاركون.

- استمرت التدريبات على المشروع لمدة ثلاثة شهور، ونهج الباحثان وفريق العمل في عملهما أسلوب الملاحظة، والتحاور مع الطلبة المشاركين، ومن ثم اشراكهم بالتدريبات مع الممثلين المحترفين.

- مع بدء المسرحية يدخل الممثلون يتبعهم الأطفال وهم يرقصون ويغنون أغنية ترحيبية يبينون من خلالها أنهم سيقدمون لنا حكاية، ويوضحون للجمهور طبيعة شخصياتهم وطبيعة التكوين الفكري والنفسي والاجتماعي لها، حيث تبدأ الأغنية ب:

" اهلا وسهلا بمن جانا تيتسلى معنا.

ونشارك هذي القرية بأفراحه وأحزانه" (Mustafa, 2018,p1).

ومع تسلسل الأحداث، يظهر واضحا أن المسرحية اشغلت على تثبيت طبيعة الشخصيات وأبعادها من خلال عرضها للطلبة، فقدمت لنا شخصيات (الاستاذ مخلص، الفلاحة عفاف أم بشر، المختار دعدوس، والغريب فيليب) وبينت للجمهور طبيعتها:

" مخلص اسمي وعنواني حافظ ديني وقرآني

معلم أجيال وباني والعداله ميزانه

أنا عفاف الفلاحة عندي جرأة وصراحة

ورغم التعب مرتاحة بهمة أهلا وجيرانا

أنا دعدوس المنحوس هي بحياتي الفلوس

صندوقتي بيها متروس وألعب عابو الميجانا" (Mustafa,,p2).

تتناول المسرحية قصة الغريب (فيليب) الذي يأتي لتخريب حياة أهل القرية الذين يعيشون حياتهم بأمان، يساعده في ذلك المختار (دعدوس) الذي يعمل على تجريد الفلاحين من أرضهم بعد استغلالهم واغراقهم بالديون، بل ويقوم بحرق مزارعهم وتدمير بيوتهم، وهنا يتخذ الأطفال موقفهم من الاحداث حيث يقفون موقفا معارضا لشخصيتي المختار والغريب، وعند سؤال أحدهم عن موقفه أثناء التدريبات، تحدث بأنه لا

يمكن أن يسمح الغريب بدخول قريته التي نما وترعرع فيها. ويستمر الصراع بين الشخصيات، لكن محاولات الاثنتين تفشل أمام اتحاد أهل القرية، وأمام النصائح التي يرشدهم من خلالها الاستاذ (مخلص) الذي يمثل وجه الحقيقة والعلم والصواب.

وأمام ما اقترفه المختار (دعدوس) من جرائم بحق أهل قريته وتأميره مع الغريب، تكون نهايته أن يعاقبه الله بالشلل، بينما يحترق الغريب بالنار التي أشعلها بمتلكات أهل القرية، ويقرر المختار التوبة عما فعله بأبناء قريته من سوء، فيأتي لهم طالبا الصفح، حيث يوجه كلامه للأرملة (أم بشر / عفاف)، التي سعى للاستحواد على أرضها كما استحوذ على أرض غيرها من أبناء القرية:

" المختار: سامحيني يا أم بشر..

أم بشر: اسمع يا مختار، اذا كان الكلام نابع من قلبك فإننا سنسامحك، ولكن يجب أن تعلم أن هذه الأرض هي أرضنا، وهذا الغريب الذي أحضرته ليس أولى بها منا، ويجب أن تعلم أنه لا مكان للغرباء بيننا..

مخلص: نحن وحدنا لا نملك الإرادة بأن نسامحك، هناك الكثير ممن تضرروا من أفعالك، وعلينا أن نسألهم.. " (Mustafa, 2018, p18)

وهنا يوجه (مخلص) حديثه للجمهور مستهدفا فئة الاطفال، فينقسم الأطفال إلى قسمين (مؤيد ومعارض)، ويطلب من أحد الأطفال واسمه (براء) الوقوف فيسأله: لماذا تريد أن نسامحه. فيجيب: المسامح كريم. أما الطفل (محمد) فيؤكد بأن علينا أن نمنحه فرصة أخيرة. ولأن الاطفال اقتصروا بأن (دعدوس) هو ابن القرية وقد أعلن توبته عن أفعاله، فإنهم يقررون في النهاية مسامحته لغرض تحويل طاقته إلى طاقة ايجابية.

لقد استخدم الفريق البحثي فن التمثيل من خلال اشراك الاطفال ضمن مواقف تمثيلية معينة، وذلك للوقوف على طبيعة المشكلات النفسية لديهم، وتولت الشخصيات سرد حكايتها ضمن نظام للمشاركة العقلية والعاطفية مع الأطفال الذين تحاوروا مع الممثلين حول بعض القضايا مثل (المواطنة، التعاون، العدالة الاجتماعية، وغيرها..)، مما عزز من حالات التحرر من الانطوائية والخجل لديهم.

وفي ضوء ذلك تم من خلال الاختصاصية النفسية توجيه الأسئلة لهم أثناء التدريبات لمعرفة مشاعرهم حول ما يعرض أمامهم، وتوصل فريق العمل إلى التأكيد بأن الأطفال فضوليين بطبيعتهم، فمنذ اللحظة التي يكتسبون فيها القدرة على التعبير والمشاركة وحسن المبادرة الاجتماعية، فهم يعملون على الخروج إلى العالم وبناء علاقات اجتماعية متطورة، إنهم يستكشفون ويلاحظون ويقلدون، ويحاولون معرفة كيفية عمل الأشياء وكيفية التحكم في أنفسهم وبيئاتهم. وهذا الاستكشاف غير المقيد يساعد الأطفال على تكوين روابط في عقولهم، وعلى التعلم، وهذا اجراء ممتع بالنسبة لهم (Issa, 2019). ومن الأمثلة على ذلك تقليدهم لبعض الشخصيات التي قدمت أثناء المسرحية، حيث استهوتهم شخصية (دعدوس) التي قام بتأديتها الفنان (خليل مصطفى) بوصفها شخصية من الشخصيات الاشكالية ضمن العرض.

إن استخدام الفنون الموسيقية والمسرحية في علاج المشكلات النفسية لدى أطفال (SOS) يدفعنا لرصد الاضطرابات النفسية غير المرغوب بها لدى الطفل، والتي تعدل بالفن، حيث ظهر من خلال

التدريبات قدرة الفنون الموسيقية والمسرحية في زرع وتنمية بعض المفاهيم والقيم لدى الأطفال، وكذلك فاعلية الأغاني والمقطوعات الموسيقية في تحسين بعض الجوانب النفسية وعلاج بعض الاضطرابات السلوكية والانفعالية، وإكساب الطفل بعض الصفات الحميدة وبث سلوكيات مرغوبة وذلك من خلال ممارسة الأطفال المشاركين للأنشطة الموسيقية الغنائية وللألعاب الموسيقية مع فريق العمل، وإذا اعتمد المسؤولون عن الأطفال، في دور الرعاية والمؤسسات التعليمية، الفنون الموسيقية والمسرحية كنهج ثقافي وحياتي، فإن ذلك من شأنه أن يسهم بنمو الطفل الجسدي، والتقليل من الاضطرابات المتعلقة بالناحية النفسية، بالإضافة إلى الاضطرابات الخاصة بالنمو التعليمي الثقافي والنمو الاجتماعي، فإذا كان الطفل يعامل أخيه بعدوانية ويرفض اللعب معه، فمن الضروري اشراكه مع أقرانه بلعبة درامية جماعية، فثمة سلوكيات غير مرغوب بها أو تبدو غير سليمة من وجهة نظر الكبار، يستطيع الفن السيطرة عليها بطرق عديدة، مثل نوبات الغضب الحادة عند الطفل.

وقد تصل السلوكيات غير المرغوب بها عند الطفل إلى أن تكون مشاكل نفسية عندما تصبح عادة ورد فعل عنيف تجاه أي موقف حتى لو كان بسيطاً. وفي هذا الإطار، ركزت تجربتنا المسرحية والموسيقية للعلاج بالفن على جعل الطفل يدرك مشكلته من جهة، ومن جهة أخرى على تفرغ الطاقة والغضب وفق بعض الاستراتيجيات والأساليب العلاجية التي تعمل في أوقات ليس لها علاقة بوقت نوبة الغضب وتعتمد على تقليل حساسية الطفل بشكل متدرج، وذلك من خلال محاولة اشراكه بالمشاهد المسرحية عبر توجيه الخطاب المباشر له.

إن مدى مساهمة الفنون المسرحية والموسيقية في تشخيص المشكلات النفسية وعلاجها لدى نزلاء قرى الأطفال (SOS) في الأردن تقوم على تنمية القدرات العقلية عن طريق الفن التي لطالما تم تقدير الفنون لمساهماتها الجمالية في التعليم والتعلم، وظهر واضحاً أنه يمكن أن يساعد الفن الأطفال على تعلم وممارسة مهارات التفكير النقدي، ففي المشهد الذي حاول به (دعدوس) الاستحواذ على أرض الفلاحة الأرملة (عفاف) بعد اغراقها بالديون، ذهب فريق العمل إلى التأكيد على التمسك بالأرض من قبل المرأة لاسيما أن الأرض هي مصدر رزقها، وهي التي تساعد على الوفاء لأولادها بالتزامات الحياة ومصاريها لاسيما اكمال دراسة ابنتها، ومن هنا جاءت المسرحية لتعزيز القيم الفكرية الايجابية التي تشكل أحد الصفات الهامة التي يجب التدريب عليها في الطفولة، وجاءت هذه القدرة عن طريق تعاملهم مع الأشكال الفنية العديدة في المسرحية، ومن خلال وضع خطة ذهنية أو صورة لما ينوون اتباعه في حياتهم العملية.

وكما أن الموسيقى والمسرح يسهمان في علاج المشكلات النفسية والاجتماعية لدى الأفراد، فإن تطوير قدرات الطفل ومهاراته المختلفة يسهم في الحد من المشكلات السلوكية والنفسية، ومن الممكن أن يخلق الأطفال في مسرح الطفولة مع أختلتهم، مما يمكنهم من الانفتاح نحو عوالم ابداعية جديدة لزيادة قدراتهم العقلية وتحقيق أهداف تنويرية، وتماشياً مع ذلك فقد تم اشراك الطلبة من قبل الممثلين ضمن عدد من المشاهد التي كان الهدف منها زرع قيم عقلية وعاطفية تقوم على التعاون والمحبة والتسامح، كما في المشهد الذي تم فيه التحاور مع الأطفال بهدف اقناعهم بمساحة (دعدوس) على تجاوزاته بحق أبناء القرية، ليأخذ

التعبير الفني من خلال الموسيقى والمسرح دورها الفعال في المسرحية بهدف استعادة التوازن الانفعالي والتوافق الشخصي والاجتماعي للطفل والحفاظ على صحته النفسية، بل والتأسيس للعلاقة الايجابية مع الوطن كما يظهر ذلك واضحا في نهاية المسرحية، حينما تنتهي بأغنية هادفة يقرر فريق العمل من خلالها أهمية الارض، وطبيعة الدروس التي يمكن لنا أن نتعلمها من الحكايات المرتبطة بها، ولا يتوقف الممثلون عند ذلك وانما يفتحون حوارا مع الأطفال فيه شيء من التداعي حول حكاية المسرحية ومحمولاتها الفكرية والجمالية.

لقد جاء استخدام الموسيقى والمسرح في عمليات العلاج بالفن واحداً من أهم طرق العلاج النفسي السلوكي، وهو يقوم بتطويع الأنشطة الفنية المختلفة، وتوظيفها بأسلوب منظم ومخطط، لتحقيق أغراض تشخيصية وعلاجية تنموية نفسية وسلوكية، عن طريق استخدام الوسائط والمواد الفنية الممكنة في أنشطة فردية أو جماعية، وهذا ما تجسد واضحا في الفنون المقدمة لأطفال قرى (SOS) الاردنية. لقد أكدت هذه التجربة أن استخدام العلاج بالفن يساعد الأطفال في المؤسسات التعليمية المختلفة ومؤسسات الرعاية الاجتماعية على إعادة بناء الطرق التي ينظمون بها حياتهم، ونقلهم من حالات الشعور بالاغتراب إلى التعاطف والرغبة في التعلم والنمو والإعجاب بالحياة والإقبال عليها والإحساس بالتوازن والسلام الداخلي، وذلك ضمن عملية تشعرهم بأهميتهم وقدرتهم على التواصل مع المجتمع الخارجي والاندماج معه بزمان قياسي، فعادة ما يستخدم المعالجون بالفن التعبير الفني على أنه تعبير رمزي يعكس شخصية صاحبه، ودوافعها وصراعاتها وحاجاتها الخاصة، وأحاسيسها ومشاعرها واتجاهاتها وعلاقتها ببيئتها الأسرية والاجتماعية.

النتائج:

أسفر البحث عن مجموعة من النتائج منها:

- 1- جاء استخدام الفنون المسرحية والموسيقية في العلاج النفسي لتطوير مهارات أطفال (SOS) للحد من المشكلات الاجتماعية والسلوكية، فجاء توظيف الفن في إطار العلاج كأداة تشخيصية ووسيلة علاجية، تبعاً لخطة تم التركيز فيها على النمو العاطفي والنفسي وتدعيم الصحة النفسية للأطفال، وذلك بعد أن لاحظ الباحثان وبمساعدة الأخصائية النفسية والاجتماعية على أطفال القرية وجود العديد من الاضطرابات النفسية والسلوكية مثل(الانطواء، سرعة الانفعال والاستثارة وحدوث نوبات من الغضب والعناد، الانسحاب الاجتماعي، النشاط الزائد، اضطرابات التواصل، اضطرابات التصرف والمسلك، الاكتئاب، عدم القدرة على التفاعل الاجتماعي لدى البعض منهم، والتخلف العقلي).
- 2- ساعدت الفنون الموسيقية والمسرحية الأطفال على التمثيل البصري لمشاعرهم وأفكارهم الخاصة، ثم القيام بتفسير محتوى المنتج في إطار توجيهات نظرية وأساليب علاجية من زاوية الخصائص الجمالية، أو من حيث دلالاتها على تطور الأداء الفني والمهاري للمتعلم، ومن ثم نموه الإبداعي والإدراكي والمعرفي من خلال تفسير الرموز المتضمنة تفسيراً نفسياً.

- 3- في الوقت الذي يسهم فيه الفن بتنمية القدرات العضلية، فإن المشاهد الدرامية والمقطوعات الغنائية والموسيقية المستخدمة في التجارب الفنية التي أجريت مع أطفال (SOS) قد أسهمت بتنمية القدرات الوجدانية، علماً أن معنى الفن عند الطفل يختلف عنه عند البالغين. فالأطفال يستخدمون طريقتهم وخبراتهم الخاصة في التعبير الفني الذي يشكل لغة مليئة بالمعاني والرموز التي تعبر عما في دواخلهم من مشاعر ورغبات ومكبوتات، وهو يعطي المجال للأطفال كي يعبروا عما يعانون منه لا شعورياً، مما يساعدهم على التخلص من المكبوتات الموجودة داخلهم والبحث عن حلول لها.
- 4- يمكن أن تساعد المشاركة العقلية والعاطفية بين الممثلين والمشاهدين من الأطفال على التعرف على التعاون، التواصل، التعاطف، والتنظيم العاطفي. فالأنشطة المتعلقة بالفن ممتعة للأطفال الصغار وهي طريقة جيدة لتشجيع الإبداع والمساعدة في تنمية المهارات الحركية الدقيقة والوعي المكاني، كما وأن الانخراط في الفنون مفيد أيضاً للتنمية الاجتماعية والعاطفية.
- 5- إن تنمية القدرات الوجدانية عن طريق الفنون الموسيقية والمسرحية يمثل عملياً حالة من حالات النمو الاجتماعي والعاطفي بالنسبة للأطفال، مما يساعدهم على التحكم في مشاعرهم والتوافق مع الآخرين، وبناء علاقات مع البالغين، والتعرف على مشاعر الأشخاص من حولهم وفهمها. ويبدو أن تلك الأنشطة الفنية قد ساعدت أطفال (SOS) على تعلم كيفية تنظيم عواطفهم بشكل أفضل.
- 6- من المتعارف عليه أن التحاق الأطفال ببرامج تكامل الفنون التي تسمح بالمشاركة في الموسيقى والفنون المسرحية، قد يجعلهم أكثر قدرة على تنظيم مشاعرهم الإيجابية والسلبية بشكل مستقل، مقارنة بمجموعة لم تشارك في برنامج تكامل الفنون، وهذا ما أسس لاكتشاف شخصية بعض الأطفال والارتقاء بنمو عقولهم وأفكارهم، ورصد ميولهم وسماتهم الشخصية، من خلال محاورتهم من قبل فريق العمل، وكان مما ساعد على استكشاف شخصياتهم وميولهم السلبية والإيجابية هو مقابلة معلمهم في القرية، والتحدث معهم للتعرف على سلوكياتهم وتصرفاتهم المختلفة مع أصدقائهم ومعلمهم.
- 7- إن هذا النوع من العروض المسرحية، يدخل ضمن حدود المسرح التجريبي المختبري الذي يعتمد على المتغيرات، والاستجابة والأثر والتأثير الواضح المحدد.

الاستنتاجات:

ومن خلال النتائج المستخلصة من البحث نستنتج مايلي:

- 1- إن توظيف الفنون المسرحية والموسيقية في علاج المشكلات النفسية يؤدي إلى نتائج إيجابية.
 - 2- ضرورة تثقيف الناس، بأن العلاج النفسي مهم في علاج بعض الاضطرابات السلوكية لدى الأفراد.
 - 3- إن للمسرح والموسيقى تأثيرهما النفسي والأخلاقي على أبناء الجنس البشري، وقد تسهم الفنون بشكل عام في تفعيل الجوانب الإيجابية للفرد والتقليل من الجوانب السلبية.
- التوصيات: يوصي الباحثان بما يلي:
- 1- ضرورة إشراك مجاميع من خريجي المسرح والموسيقى وإرسالهم الى الخارج لتكملة دراستهم في مجالات العلاج بالفنون، وفي مجال علم النفس الفني.

2- ضرورة أن يتم اعتماد منهجيات وطرق العلاج بالفنون كألية لعلاج كثير من المشكلات النفسية لدى نزلاء

السجون، ونزلاء دور الايواء من الصغار وكبار السن.

- المقترحات: يقترح الباحثان اجراء الدراسات التالية:

1- فاعلية العلاج بالموسيقى في تخفيف اضطراب القلق والاكتئاب لدى نزلاء دور الايواء من كبار السن في

مدينة عمان.

2- دور الأنشطة الفنية في تنمية الوعي الاجتماعي لدى نزلاء قرى الأطفال (SOS) في الأردن.

3- فاعلية السايكودرما في تقوية مهارات الاتصال وتحسين مفهوم الذات لدى اطفال قرى SOS.

References:

1. Abdel-Wahhab, Amani Abdel-Maqsoud, Shaaban, Abeer Abdullah, and Abu Qura, Fatima Muhammad. (2017). A proposed program based on art therapy (ceramics) to reduce attention deficit and hyperactivity in a sample of children. Practical Journal of the Faculty of Specific Education, (10), 437-456.
2. Abdel Nour, Jabbour, (1984), The Literary Dictionary, second edition, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut.
3. Abu Bakr, Medhat, (2005). Methodical in the Art of Psychodramatic Engagement between Actors and Viewers, 1st Ed, Academy of Arts Publications, Cairo.
4. Abu Talib, Osama, (2015). Monodrama and Monologues - Notes on the Sermon Drama, Monologues, Opening and Revelation, Introduction to Siberia Play, No. 377, National Council for Culture, Arts and Literature, Kuwait.
5. Al-Athari, Tariq Abdel-Kadhim, (2007). Employing Psychodrama in the Treatment of Psychiatric Patients, University of Basra, Arabian Gulf Journal, Volume 35, Issue 1-2, 73-98.
6. Al-Harbi, Manar Muhammad, and Al-Shayji, Ohood Abdel-Latif. (2018). the role of artistic activities in developing environmental awareness among pre-school children from the point of view of kindergarden teachers in Riyadh. Journal of the Islamic University of Education Studies, 26(6), 510-536.
7. Al-Hawamdeh, Muhammad Fouad, and Rateb, QassemAshour. (2013). the degree of appreciation of kindergarden teachers for their practices in developing readiness skills for children to learn writing. Journal of Al-Quds Open University for Research and Studies, 1 (29), 11-40.
8. Al-Sadah, Aisha bint Hussein. (2019). Strategies for teaching some technical skills to people with mental disabilities. Journal of the College of Basic Education for Educational and Human Sciences, 42, 266-270.
9. Al-Sindi, Badr Khan, (1987). Psychodrama, Theater of Psychological Therapy, Arab Horizons Magazine, Issue 10, Arab Horizons House, Baghdad.
10. Al-Fuhaid, Fahd bin Suleiman, (2007). The role of plastic art therapy in rehabilitating people with spinal injuries in King Fahd Medical City, (unpublished master's thesis), College of Education, King Saud University, Saudi Arabia.
11. Alawneh, Mariana, and Issa, Yahya (2017). The Dialogue Learning Approach and its Employment Mechanism in Psychodrama of Jacob Moreno, University of Jordan, Journal of Humanities and Social Sciences Studies, Volume 44, Issue 14, Appendix 2, pp. (187-198).
12. Diehls, V. (2008). Art Therapy, Substance Abuse, and the Stages of Change, Master of Science, The Department of Psychology and Special Education, Emporia State University, Umi., N. 1455689..

13. Hussein, Noha Al-Sadiq, (2009).The Effectiveness of Music Therapy in Reducing Anxiety and Depression Disorder among Patients in Psychiatric Hospitals in Khartoum State, (unpublished doctoral thesis), Republic of Sudan, University of Khartoum.
14. Innes, Christopher (1996).the Vanguard Theatre, trans. SamehFikry, Cairo International Festival for Experimental Theatre, Cairo.
15. Issa, Yahya (2019). A personal interview conducted by the researcher with a psychological counselor, Amal Omar, Amman.
16. Gabriel. B., Bromberg, E., Vandenvenkamp, J., Walka, P. Kornblith, A., Luzzatto, P. (2000). Art Therapy with Adult Bone marrow Transplant Patients in Isolation: a Pilot Study, PsychoOncology, V. 10, Issue 2, 114 – 123.
17. Ghanem, Mohamed Hassan, (2003). Combined psychotherapy between theory and practice, Arabic books, Cairo.
18. Greenberg, Ira A. (1994). Moreno Psychodrama and the Group,process (In) Psychodrama theory and therapy, Souvenir press (Educational and Academic), Ltd, Acondor Book.
19. Kamal, Ali (1988). The soul, its emotions, diseases, and treatment, Part 2, Dar Wasit, Baghdad.
20. Khader, Afra, and Musa, Muhammad. (2019). the role of artistic activities in developing social and emotional adaptation behaviors of kindergarten children. Al-Baath University Journal for Human Sciences, 41 (96), 155-179.
21. Levy Moreno. (1967). Jacob Das stegreiftheate, Cit-in Paul Portner .Theatre HeutePostdam.
22. Lusebrink, Vija B. (2010). Assessment and Therapeutic Application of the Expressive Therapies Continuum: Implications for Brain Structures and Functions, Art Therapy: Journal of the American Art Therapy Association, 27. 4.
23. Melhem, Sami (2007). Research Methods in Education and Psychology, Dar Al Masirah for Publishing and Distribution, Amman.
24. Mok, F. (2007). Combining Art Therapy with Cognitive Therapy in an Adult Psychiatric Program, Master of Arts in Art Therapy Counseling, Ursuline College Graduate Studies, Umi, N. 1442117.
25. Muhammad, Adel Abdullah, (2008). Music therapy for autistic children - foundations and applications, first edition, Dar Al-Rashad Publishing House, Cairo.
26. Mustafa, Khalil (2018). Land of Loyalty, (unpublished play), Amman.
27. Nuseirat, Nidal (2020). A personal interview conducted by the researcher with the teacher, Fatima Muhammad and Maram Issa, Amman.
28. Suleiman, Abdul Rahman Sayed, (1994). Psychodrama: Its Concept, Elements, and Uses, Yearbook of the College of Education, No. 11, Qatar University.
29. Swain, Richard. M, (1979), Psychological and Mental Pathology, translation. Ahmed Abdel Aziz Salama, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Cairo.
30. Rivera, R. (2008). Art Therapy for Individuals with Severe Mertal Illness, Master of Arts, Faculty of the Graduate School, University of Southern California, Umi N. 145060.
31. The Jordanian Children's Villages Association (sos), (2018). an updated introductory leaflet, Amman.
32. Wilson, Glenn (2000). The psychology of the performing arts, translation. Shaker Abdel Hamid, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait.
33. Ziyadat, Houriya Muhammad. (2015). Strengthening communication skills and improving self-concept among children of SOS villages, Academic Book Center, Amman.

The extent of theatrical and musical arts contributes to the diagnosis and treatment of psychological problems Inmates of Children's Villages (SOS) in Jordan (1).

.Prof. Dr. Yahya Salim Suleiman Issa (2).

.Prof. Dr. Nidal Mahmoud Nuseirat (3).

Abstract:

The research aims to identify the extent to which the theatrical and musical arts contribute to diagnosing and treating psychological problems among the residents of children's villages in Jordan, and the methodologies adopted by the theatrical and musical arts to achieve this. It moves on to prove the theory that theatrical and musical arts have an impact on improving the psychology of the residents of children's villages in Jordan by reviewing the theories and opinions that address the subject from a scientific point of view proven by experiences and expertise.

The research took place in the period between (2019-2020), and the spatial limits came within the (SOS) children's villages in Jordan. The importance of the research is to provide a frame of reference for researchers and specialists in treating children's psychological problems using the arts, and the research can benefit those engaged in theatrical and musical art, including authors, directors, actors, critics, composers, singers...etc, as well as providing benefit to academic institutions concerned with theatrical and musical arts and psychological and educational sciences.

Key words: psychotherapy, Art therapy, psychodrama.

¹ - This research was carried out with the support of the Deanship of Scientific Research at the University of Jordan

² - Department of Performing Arts, College of Art and Design, University of Jordan

³ -Department of Musical Arts, Faculty of Art and Design, University of Jordan